

المحاضرة 03: النظرية الوضعية:

تعتبر النظرية الوضعية إحدى النظريات الكبرى في علم اجتماع الغربي، وقد أحدثت قطيعة إبستيمولوجية مع التفسيرات الميتافيزيقية التي كانت سائدة واتباع المنهج العلمي في دراسة المجتمع،

1- تعريف الوضعية:

تطلق الوضعية على المذهب الذي أسسه "أوجست كونت" والحركة التي قام بها، وكذلك على الاتجاه الفلسفي العام الذي لا تعد فلسفة "كونت" إلا مثالا واحدا من أمثلتها، والوضعية بالمعنى العام هي الرأي القائل بأنه ما دامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية، ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة، فالمحاولات التأملية أو الميتافيزيقية يجب التخلي عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة. (صلاح الدين شروخ، 2005، ص 151)

الجذور التاريخية للفكر الوضعي وتطوره:

تضرب الوضعية بجذورها التاريخية والفكرية في التاريخ الأوربي لمرحلة ما قبل الثورة الفرنسية بكثير، من خلال اعتماد الإغريق على التجربة في بحوثهم، لكن ظهورها كان في العقد التالي لوفاة "هيجل"، وتحديدًا من خلال "أوجست كونت" في كتابه "دروس عن الفلسفة الوضعية" 1848-1880، أيضا دروس "شتال" الوضعية في الدولة بين 1830-1837، كما بدأ "شيلنج" عام 1941 محاضراته عن الفلسفة الوضعية وقد ألقاها في برلين. (ياس خضير البياتي، 2002، ص 77)

وقد ذكر "صلاح الدين شروخ" أن شرف البدء بالوضعية يعود لـ "بيكون" في كتابه "في المبادئ والأصول" عام 1623-1624، وبسبب التأثير بـ "بيكون" أصبحت كلمة وضعي تطلق على مناهج العلوم الطبيعية لاعتمادها الملاحظة والتجربة، وهو ما فعله "سان سيمون" أيضا، وأن كل علم لا يعتمد الملاحظة والتجربة هو علم ظني. (صلاح الدين شروخ، 2005، ص 151)

3- أهم روادها

أوغست كونت: (1798-1857):

ولد في 19 جانفي 1798 في "مونتوبولي" بفرنسا من عائلة كاثوليكية ملكية، أبوه من الطبقة المتوسطة. في 1917 أصبح سكرتيرا عند "سان سيمون" وبقي مساعده وصديقه إلى غاية 1824 وساعده خلال هذه الفترة في كتابة مؤلفاته الأساسية: المنظم، الصناعة، النسق الصناعي...، في الفترة من 1819-1925 قام بإنجاز أعمال مختلفة منها ما كان ضمن مؤلفات "سان سيمون" ومنها أعمال فردية في أحجام صغيرة، 1926 بداية تأليف كتاب "دروس في الفلسفة الوضعية"، 1829 العودة إلى مواصلة تأليف كتابه المذكور، وظهور أول جزء منه سنة 1830، ثم تعاقبت الأجزاء الأخرى تبعا: 1835، 1838، 1841، 1842، سنة 1843 صدور كتابه "مدخل إلى عناصر التحليل الجيومتري"، 1844 نشر كتاب عن "الروح

الوضعية"، في 1848 تأسيس المجتمع الوضعي في "خطاب عن مجمع الوضعية"، 1851 صدور كتابه "المدخل إلى علم اجتماع الصناعي والديانة الإنسانية"، وظهر أجزاء أخرى منه أعوام: 1854، 1853، 1852، إعلانه عن المسيحية الوضعية أو الديانة العالمية في 1852، وفاته في سبتمبر 1857 في باريس. (خواجة عبد العزيز، 2012:ص150)

أهم إسهاماته:

يعود لـ "أوغست كونت الفضل في تأسيس النظرية الوضعية كما سبق ذكره، وقد توصل إلى قانون الحالات الثلاث الذي عبر به عن مراحل تطور الفكر الانساني: المرحلة الدينية (اللاهوتية)، المرحلة الميتافيزيقية، المرحلة الوضعية وتمثل مرحلة الفهم العلمي، وهذه المراحل تعرضنا لها بالشرح العام الماضي في مقياس مدخل إلى علم الاجتماع. كما حدد حالتي المجتمع، ستاتيكية، ديناميكية، وما يذكر في هذا الصدد أن "كونت" ساهم في بناء نظرية علم الاجتماع من خلال أفكاره الوضعية بما يتعلق بالمجتمع وتطوره، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية: (ياس خضير البياتي، 2002، ص82)

-قسم الوقائع الاجتماعية إلى مجموعات سياسية واقتصادية ودينية وخلقية، هذه المجموعات بينها علاقات وظيفية مترابطة وأي تغيير في إحداها يؤدي إلى تغيير مماثل في المجموعات التي تربطها بها علاقة وظيفية.

-نبه علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر بضرورة اعتماد العلم في تأسيس نظرية علم الاجتماع مع الأخذ بالمبدأ التجريبي.

-تحديد مفهوم القوانين الاجتماعية كخطوة أولى لصيانة النظريات العلمية الاجتماعية.

-التحليل البنائي الوظيفي للنظم الاجتماعية والبحث التاريخي لاتجاهات التطور الاجتماعي.

-وضع الأسس المنهجية لعلم الاجتماع وتحديد مناهجه والطرق الملائمة لدراسة الظواهر الاجتماعية.

إميل دوركايم: (1858-1917)

ولد في 15 أبريل 1858 في إيبينال EPINAL من عائلة يهودية راهبة، درس في مسقط رأسه وانتقل الى باريس لتحضير الدخول للمدرسة العليا، حاز على إجازة الفلسفة وعين أستاذا في الفترة من 1886-1687 نشر ثلاث مقالات: "الدراسات الحديثة في العلوم الاجتماعية،" العلوم العادية والوضعية في ألمانيا"، "الفلسفة في الجامعات الألمانية"

1888 نشر في المجلة الفلسفية مقالا حول "الانتحار والخصوبة"، 1891 يعطي توجيهات لطلبة الفلسفة بدراسة مؤسسي علم الاجتماع (مونتيسكيو، كونت...)، 1893 ناقش رسالته في الدكتوراه "في تقسيم العمل الاجتماعي"، إضافة إلى أطروحة باللاتينية "مساهمة مونتيسكيو في بناء العلم الاجتماعي". 1895 صدور كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع"، 1896 أسس السنة السوسيولوجية: L'année sociologique، 1897 نشر كتابه "الانتحار"، 1900 صدور مقال الطوطمية وبداية الاهتمام لاقضايا الدينية، 1902 عين على رأس كرسي "البيداغوجيا" في السربون ليرسدّم فيه سنة 1906، 1909 صدور كتاب "التيارات البيداغوجية الكبرى في فرنسا في القرن الثامن عشر، نشر كتاب "الأشكال الأولية للحياة الدينية" في 1912، نشر بعد ذلك كتابين إثر وفاة ابنه "ألمانيا فوق الجميع" "الذهنية الألمانية والحرب. توفي في 15 نوفمبر 1917 بباريس. خواجه عبد العزيز، 2012، صص 157، 158)

أهم إسهاماته في النظرية الوضعية:

إن أهم ما يميز فكر "دوركايم" هو قدرته على التطور التاريخي ضمن مراحل زمنية، والتحاور مع ثلاثة اتجاهات فكرية: الفكر النفعي الفردي، الفكر الاشتراكي، الفلسفة الوضعية، وهناك آراء خلافية متعددة طرحت بشأن علاقة "دوركايم" بالوضعية، بين من قال أنه بدأ وضعيا صارما وانتهى نهاية مثالية واضحة، ومن اعتقد أنه وسطي بين الوضعية والمثالية. وآخر أنهوضعي في اتجاهاته الفكرية الفكرية العامة رغم اختلافه في بعض الجوانب الفلسفية للاتجاه الوضعي من ناحية المنهج ودراسة الواقع الاجتماعي. (ياس خضير البياتي، 2002، صص 90، 91)

ومؤلفات "دوركايم" الأولى هي دليل على انتمائه للوضعية بالرغم من انتقاداته الموجة لها، وهذه المؤلفات هي: تقسيم العمل الاجتماعي، قواعد المنهج في علم الاجتماع. كذلك دعوته لأن يصبح علم الاجتماع علما، من خلال البحث على القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، واعتبار المجتمع واقعا أو حقيقة مفسرة لذاتها، إضافة إلى تأكيده على القيم الأخلاقية باعتبارها العنصر

الأساسي الذي يحافظ على تماسك المجتمع لأنها تشكل نوعاً من الضمير الجمعي الذي تتمثل
وظائفه الأساسية المساعدة على تكامل تفاعلات النسق. (ياس خضيرالبياتي، 2002، ص 92، 93)

وإسهامات "دوركايم" كثيرة في علم الاجتماع بداية من جهده التأسيسي لهذا العلم أن يصبح
تخصصاً قائماً بذاته ويدرس في الجامعة وصولاً إلى مجهوداته التي تمثل المرجع لنظريات علم
اجتماع المعاصرة